إنه ضـــوء القمر

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأستاذ جمال الدين الحجازي

كانت مدام جولي روبير تنتظر أختها مدام هنريت ليتورالتي عادت من سويسرا منذ خمسة أسابيع ، بعد أن سمحت لزوجها بالبقاء وحده في كالفادوس لإنجاز بعض الأعمال التي تتطلب وجوده ، وأتت لتقضي بعض أيام مع أختها في باريس للترويح عن أنفسها . وفي الصالون الهادىء ، جلست مدام روبير تقرأ وهي شاردة الذهن ، ترفع عينيها بين وقت وآخر كلما سمعت صوتاً . وأخيراً سمعت دقاً على الباب ، فظهرت أختها حالاً وكانت تلبس معطف السفر . وفجأة وقبل التحية تعانقتا بشدة . ثم بدأ الحديث عن الصحة والعائلة وأشياء أخرى تجيدها النساء ...

كان الوقت مساء ، فأضاءت مدام روبير المصباح ، ولما رأت وجه أختها رغبت في عناقها مرة ثانية ، فاقتربت منها ، ولشد ما كانت دهشتها عندما رأت ضفيرتي أختها الطويلتين قد ابيضتا ، بينما كان القسم الآخر من شعرها أسود لامعاً وظهر شعرها الأبيض كالفضة تحوطه هالة من السواد .

كانت مدام هنريت شابة لم تتجاوز الرابعة والعشرين من عمرها ، فما هو السر في ابيضاض شعرها ! إنها لم تره هكذا إلا بعد عودة أختها من سويسرا .

نظرت مدام روبير إلى أختها بدهشة والدمع يترقرق في مآقيها لأنها اعتقدت بأن حادثاً مخيفاً ألم بأختها فسألتها بابتسامة حزينة :

— ما ذا حصل لك يا هنريت ؟

— لا شيء يا شقيقتي ... أكنت تنظرين إلى شعري الأبيض ؟

ولكن مدام روبير قبضت على ذراعيها بشدة وكررت عليها السؤال :

أخبريني ماذا حصل لك ... أخبريني بالحقيقة وإياك والكذب : ومكثتا برهة تنظر إحداهما إلى الأخرى وقد امتقع وجه هنريت وكانت دمعتان تبللان وجنتيها فسألتها أختها بلطف :

ألا تودين إخباري بما ألم بك ؟

وفي صوت خافت قالت بعد أن أخفت وجهها بين ذراعي شقيقتها :

لي ... لي حبيب ! !

وهناك على الكنبة جلست الأختان في أحد أركان الغرفة تتحادثان وقد وضعت الأخت الصغرى ذراعها على عنق أختها الكبرى بدلال وأخذت تنصت إلى حديثها :

إنك تعرفين زوجي وتعرفين كم أحبه ! فهو رقيق الشعور ، طيب ، باسم الثغر ، لطيف ومستقيم إلا أن به عيباً واحداً وهو أنه لا يستطيع أن يطري محاسن المرأة ! ولست أدري لماذا ؟ آه كم كنت أتمنى أن يضمني بين ذراعيه بشدة ، ويقبلني قبلات حارة تمتزج بها أنفاسنا ! وكم تمنيت أن يكون ضعيفاً بين يدي فيحتاج إلى رقتي وعطفي ودموعي ! قد يظهر أن ما قلته لك تافه ولكننا نحن النساء جبلنا على هذا فما العمل ! ومع ذلك لم أفكر لحظة في خيانته حتى على شاطىء بحيرة لوكيرن !

هناك على شاطىء البحيرة ، كان القمر يرسل أشعته الفضية على الكون فيملأه بهجة وحبوراً ؛ وشعرت حينئذ بشيء لست أعرف كيف أفسره ! ففي الشهر الذي قضيناه نتنزه في سويسرا ونتمتع أنفسنا بجمال تلك البلاد ، أثار زوجي إحساساتي بهدوئه وصمته وتركني وحدي سابحة أهيم في الحسن والجمال ! ألا يثير الجمال النفوس ويبعث فيها الحب ! ألا تثير ممرات الجبال الضيقة والأودية العميقة والغابات الواسعة والجداول الرقراقة والقرى الصغيرة الجميلة كل حب للجمال !

أجل لقد سحرتني هذه المناظر بجمالها فقلت لزوجي وقد ارتميت بين أحضانه : ما أجمل هذه المناظر يا حبيبي ... انظر

إلى القمر المنير والبحيرة الجميلة ... ألا تدعو هذه المناظر الساحرة المحبين للقبل ! ! قبلني الآن وفي هذا المكان قبلة حارة وامزج أنفاسك بقلبي المذاب ! ولكنه أجابني بابتسامة لطيفة باهتة : « لا يوجد سبب يدعو إلى القبل » فتأثرت جداً من كلامه .

غاظني زوجي بسلكه هذا ، فقد منع تلك الخيالات الشعرية والسبحات الفكرية من أن تخرج إلى دنيا الجمال وأبقاها مكنونة في نفسي عديمة الجدوى .

وفي إحدى الأمسيات ذهب روبير إلى فراشه بعد العشاء ، وكان قد أصابه صداع ؛ فذهبت في نزهة على البحيرة . وهل لي غير البحيرة وشاطئها الجميل ؟

كانت الليلة مقمرة كتلك الليالي التي نقرأ عنها في أساطير الخيال ؛ وكان القمر يزهو باكتماله في كبد السماء ، ويحيي الأرض بأنواره الفضية ، فيكسبها جمالا وبهاء . وظهرت الجبال النائية بثلوجها البيضاء كأنها تلبس تيجاناً فضية ، ولمعت مياه البحيرة لمعاناً أخاذاً في ضوء القمر الجميل ، وكان النسيم عليلا يهيج الذكريات ، ويبعث الشوق في القلوب .

جلست على العشب ، ونظرت إلى البحيرة وقد استولى عليّ سحرها ، فمر بي طيف عابر ، وأحسست أن الحب قد تملكني وأصبحت في حاجة إليه . فتذكرت حياتي الأولى وما بها من سآمة ويأس فحزنت وتساءلت ترى هل يبسم لي الزمان فأجد نفسي على شاطئ البحيرة في ضوء القمر الساطع بين أحضان حبيب يلهبني بقبلاته فأنتعش بتلك القبلات الحارة التي ينعم بها العشاق ! ! وعندها شعرت بحبات لؤلؤية تتساقط على وجنتي لم أدر سببها وسمعت من يقول : « لم هذا البكاء يا سيدتي ؟ خفّفي عنك ما تجدين ... فعلام الحزن وعلام البكاء » وكنت مضطربة فقلت إني مريضة فسار إلى جانبي وكان طيب القلب وبدأ يحدثني عما رأيناه في رحلتنا من المناظر الجميلة وترجم كل ما أحسست به إلى كلمات جذابة ، وشعرت بأنه فهم إحساساتي وشعوري كل الفهم ، وفجأة أسمعني بعض الأبيات الشعرية لألفرد دي موسيه فشعرت كأنني في عالم غير عالمنا ، وخيل إلى أن الجبال والبحيرة وضوء القمر تغني وتسبح مبدع هذه المناظر الجميلة الساحرة

وفي الصباح بينما أنا غارقة في هذه النشوة تركني هذا الحبيب واختفى بعد أن قدّم إلى بطاقته ! وهنا تأوهت مدام ليتور وكادت تصيح . . .

فقالت مدام روبير وقد سرها ما سمعت :

« لتعلمي يا شقيقتي العزيزة أننا لا نحب الرجل دائماً ولا يستطيع أن يثير أشواقنا ؛ فلا غرو أن حبيبك الحقيقي وأنيسك الذي سحرك بحلو ألفاظه ورقة شمائله وأثارك وبعث فيك الحب والغرام في تلك الليلة وأنار لك السبيل هو ضوء القمر .. أجل أنه ضوء القمر ! »

جمال الدين الحجازي

وزارة الدفاع الوطني

تقبل العطاءات لغاية ظهر يوم ٣٠ / ١ / ١٩٤٨ عن توريد مبارد وأجنات حديد وقلم اجنة وزاوية براد وبروار منشار وبورى لحام وزيت ٣٠ م وشحم ابيض ومانومترات وخرطوم اكسجين واستيلين وحجر جلخ وصندوق قلاووظ كامل وجنازير وفحم حجرى وخوصة حديد وصلب يای خوصة والواح صاج أسود والواح نحاس أصفر .

والشروط بإدارة المشتريات والعقود وثمن النسخة منها ٢٥٠ مليماً

٨٧٤٨